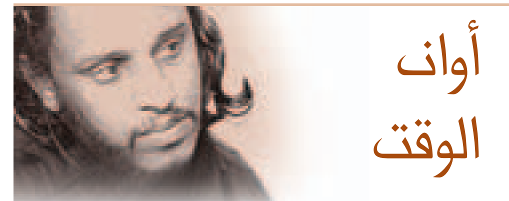
أوان الوقت



■ خالد الرويعي

إلى المجانين في هذا البلد

في كل مرة تتجاذب فيها الأطراف السياسية والثقافية والاجتماعية بل وحتى الدينية، تطفح على السطح بوادر الاحتقان المرتقب، ويبدأ كل من يغني على ليلاه بغناء أوبرالي معتق، وما إن يبرز كل ذلك، تبدأ القيادات والزعامات بخطبها العصماء. فلقد جرت العادة أن يضمّن هؤلاء ديباجتهم بنداء حار وعاجل (إلى العقلاء في هذا البلد) باعتبارهم النخبة والملاذ الأخير لكل شر مستطير.

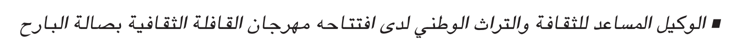
لكن لاحظوا أن مثل هذه الخطابات قد طال بنا العمر معها ولم تفلح، فإذا كان حل الأزمات لا يستقيم إلا مع العقلاء.. فما الذي حدث الآن؟ كثيرة هي الأزمات والمشاحنات، والمشاكل لا أول لها ولا آخر، ولم يفلح العقل أو العقلاء في حلها أو فك ربطها. هذا يعني بالنسبة لي أن العقلاء قد ذهبوا إلى حيث لا عودة.. وهذا يعني أيضا أننا بين مجانين!

هل بالإمكان تصديق ذلك؟ أعتقد أن بالإمكان حتماً. فالعقلاء أيضا لم يتركوا لنا شيئاً.. وراحوا يهندسون الفضاء بأفكارهم وخططهم النيرة، راحوا يؤثثون البيت بخيالاتهم المرفهة ويعبّدون لنا الطرق بورد اصطناعي.. وأصبحوا يلبسون علينا الليل بالنهار.

هؤلاء هم العقلاء الآن؟ ولكن ماذا ننتظر؟ سننتظر الآن فرصة استغاثة أخيرة بالمجانين في هذا البلد.. كي يصلحوا ما أفسده هؤلاء العقلاء؟ فلقد تسلطوا كثيراً وجاءنا منهم ما لم نكن نتوقعه من (عاقل).. فيا أيها المجانين.. رأفة بنا.

khalid.alrowaie@alwaqt.net

■ الوكيل المساعد للثقافة والتراث الوطني لدى افتتاحه مهرجان القافلة الثقافية بصالة البارح



نحو تقليد إبداعي أدبي جديد

«الفوتو- بيوغرافيا» أو «السيرة الذاتية المصورة»

محمد سعيد الريحاني ■

كتابة السيرة الذاتية تبدأ بنية الإدلاء بشهادة لإثبات حقيقة حدثت وتنتهي بالسعادة التي ما بعدها سعادة: سعادة اكتشاف الذات. إن كتابة السيرة الذاتية بحث في الذات واستكشاف لعوالمها لفهم ذوات الآخرين. فمتى أحب المرء ذاته أحب غيره ومتى كره المرء ذاته كره غيره ومتى جهل المرء ذاته جهل غيره. إن فهم الذات والمصالحة معها هو السبيل لفهم الآخرين والمصالحة معهم.

تنقسم السيرة الذاتية حسب الأهداف المتوخاة منها إلى أربعة أقسام طبقا لـ "منطق الربح والخسارة":

1- خاسر ومازال خاسرا: الهدف من كتابة السيرة الذاتية يبقى هو الاعتراف وجلد الذات...

2- كان خاسرا وصار رابحا: الهدف يبقى هو الفخر والاعتزاز بالذات...

3- رابح ولا زال رابحا: الهدف يبقى هو التنظير والتبشير بعوالم جديدة وسن قوانين وقواعد جديدة...

4- كان رابحا وصار خاسرا: الهدف يبقى هو الانتقام والفضح...

والسيرة الذاتية تتجلى في ثلاثة أشكال. فهي إما توثيقية في شكل يوميات Diaries إذا كتبت في عين المكان وفي تاريخ حدوث الوقائع أو مذكرات Memories إذا كتبت بعد ذلك التاريخ إما من وحي الذاكرة أو بالاعتماد شبه الكلي على ما توفر من وثائق المرحلة المشتغل عليها.

أو هي، السيرة الذاتية، روائية مسرودة بضمير المتكلم كما في رواية "الخبز الحافي" لمحمد شكري أو بضمير الغائب كما في "الأيام" لطه حسين.

أو هي، السيرة الذاتية، مصورة. وهو الجنس الأدبي- الفني الوليد الجديد على الثقافة العربية أولا وعلى الثقافة الإنسانية عموما. ونتمنى أن تكون هذه السيرة الذاتية المصورة "عندما تتحدث الصورة" الحجر الأساس لهذا الجنس الأدبي-الفني الذي نأمل أن يصبح تقليدا إبداعيا راسخا في الثقافة العربية والإنسانية عموما يصالح القراء مع الكتاب في زمن العزوف عن القراءة ويعرف القارئ عن قرب على المؤلف جاعلا من الكتاب ملاذا حميميا مادامت السيرة الذاتية تقرأ أصلا بشكل مختلف عن باقي الأشكال المكتوبة. وهذا ما يفسر الإكبار الذي لقيته المعلقات والتي لم تتكرر بعد عصر الجاهلية بسبب خروج الشعر عن الفخر بالذات والانحباس في مقايضة مال السلاطين بهبة الإبداع...

نحو "الفوتو- بيوغرافيا" أو "السيرة الذاتية المصورة":

تقول الأغنية المغربية:

"صورة خيالي في عيونو

كيفاش يمكن يمحيها؟"...

الصور قبس من نور يفتح الحياة فجأة على لحظات سعيدة منسية فتغمرنا سعادة كانت تحيط بنا ونحن لا نعلم أنها في المتناول وأنها لا تنتظر إلا حركة بسيطة منا بمجرد الضغط على زر صورة من الصور ليتبدد الظلام في دواخلنا ويضاء المكان من حولنا ويستنير العالم.

فالصورة من جهة تبقى مخلصة من النسيان ومن جهة أخرى تبقى الصورة رديفا للحقيقة. والصورة في كلا الحالتين تبقى رديفا للكتاب وقد تحقق ذلك التحالف وتحققت تلك المصالحة بين الكتاب والصورة مع الكتاب الالكتروني في مجالات العلوم والفنون والثقافة والآن يتعزز ذلك التحالف بين الصورة والكتاب في مجال كتابة السيرة الذاتية بإعلان تأسيس "الفوتو- بيوغرافيا" أو "السيرة الذاتية المصورة" وكتاب "عندما تتحدث الصورة" مساهمة أولية في هذا المشوار.

"عندما تتحدث الصورة" هي أول "سيرة ذاتية مصورة" ولذلك وجدنا صعوبة بالغة في إيجاد مقابل لاتيني للكلمة وإن كنا نقترح مرحليا "فوتو- بيوغرافيا" Photo-biography كرديف مركب من كلمة Photo التي تعني الصورة وكلمة biography التي تعني السيرة. كما أن biography-Photo على المستوى الصوتي تتناغم مع كلمة Autobiography التي تعني السيرة الذاتية.

"الفوتو- بيوغرافيا" أو "السيرة الذاتية المصورة"، هي صور تحكي صورا: صور حاضرة تحيل على صور غائبة، لقطة جامدة تعيد للحياة مشهدا قابعا تحت طبقات سميكة من النسيان. ولذلك، كانت "الفوتو- بيوغرافيا" محركا لحرارة الحياة الحبيسة تحت رماد النسيان وبرودة العادة.

تطلبت منا هذه "الفوتو- بيوغرافيا"، "السيرة الذاتية المصورة"، ستة أشهر من العمل المتواصل ساعدنا في ذلك الفيد- باك الذي أغنى التجربة من خلال تجاوب القراء الذين اطلعوا على النسخ الأولى للكتاب عند نشره الكترونيا. فقد صارت رؤاهم للتو مقودا للعمل قيد الإنجاز فغيرت أحيانا اتجاه العمل من اليمين إلى اليسار وأحيانا العكس من خلال التدخل في مناقشة فلسفة الكتاب وتقييم وتقويم تقنياته وانتقاد نوعية الصور المدرجة ومضامينها والمنظور الذي من خلاله تحرر التعليقات على الصور التي تبقى الموجه الرئيس لتطور الانطباعات وتقدم الزمن ونضج الشخوص والتجربة معا.

ولعل الشذرية هي أهم ما يميز "الفوتو- بيوغرافيا" عكس كل المفاهيم السائدة في كتابة السيرة الذاتية الأدبية التي تنهج سبيل الخط الوحيد لأحداث منتقاة حدثت للكاتب على فترات متباعدة لتظهر حياته بلون واحد وخطاب واحد وقدر واحد: شقاوة، سعادة، دلال، تشرد... إذا كانت الحبكة في السرد الواقعي موضوعية خارجية يتحكم فيها سارد واحد يمسك بخيوط الأحداث ويخضعها للترتيب الكرونولوجي للأحداث، فإن الحبكة في كتابة تيار الشعور ذاتية داخلية تسردها الشخوص دون الحاجة للكلام الملفوظ (تجربة ويليام فولكنر مثلا)، فإن الحبكة في "الفوتو- بيوغرافيا" أو "السيرة الذاتية المصورة"، تجمع بين الاثنين وتضيف لهما بعدا ثالثا: البعد البصري، الصورة. ولهذا، سيكتشف القارئ في هذه "الفوتو- بيوغرافيا" المقدمة بالصورة والعقدة وتطورها بالصورة والخاتمة بالصورة...

الكتابة بضمير المتكلم

في أكثر من حوار صحافي وفي أكثر من مناسبة، أشرنا ميلنا للكتابة بضمير المتكلم لكن التزامنا بخصوصية النص وانشغالنا بمصالحة شكل النص بمضمونه قليلا من هذا الميل الذي عادة ما يجد ضالته في كتابة اليوميات والمذكرات والسير الذاتية.

في هذه السيرة الذاتية المصورة، "عندما تتحدث الصورة"، ستتحرر الذات بالذاكرة من قيود الحكي وسطوة الزمن وإيقاعية الحياة وركام الأعباء والمسؤوليات وآلية الأجندات لتعود مع كل صورة إلى أصل الحياة. ولذلك، فقد حاولت السيرة الذاتية دائما أداء هذا الدور لكن السيرة الذاتية في أشكالها المكتوبة الموجهة بخطاب واحد محدد غالبا ما جعلت مادة الحكاية خارج سياق الحياة التي أنتجتها وبذلك صارت مادة تخييلية وليست سيرة ذاتية. إن الحياة تكون حياة والواقع واقعا قبل التحرير والتدوين والكتابة. أما بعد الكتابة فتصبح تلك الحياة وذلك الواقع مشروع حياة جديدة ومشروع واقع جديد. إن الكاتب لا يمكنه أن يكون ناقلا للواقع وناسخا له. الكاتب هو مبدع لواقع جديد ولحياة جديدة. ولن يكون في متناوله في وقت من الأوقات أن يحيد عن هذا الدور حتى ولو أراد هو ذلك. فالكاتب له زوايا نظر خاصة به ومبادئ ومواقف ومصالح ومطامح ورهانات واختيارات تتحكم في ما يكتبه فيصبح بالإمكان تحوير الواقع أو الحياة موضوع الكتابة ملايين المرات بحيث تصبح الحياة الفردية الواحدة حيوات متعددة لامتناهية: حياة تشرد في مجتمع لا مبال كما في "الخبز الحافي" سيرة محمد شكري الذاتية الروائية، أو حياة براءة ودلل كما في "في الطفولة" سيرة عبد المجيد بن جلون الذاتية، أو حياة مكرسة للعلم والمعرفة كما في "الأيام" سيرة طه حسين الذاتية... ولكن هل يعقل أن تكون حياة فردية بأكملها مجرد تشرد، أو مجرد براءة، أو مجرد علوم ومعارف؟!... هذه هي خاصية الأدب: خصوصية الأسلوب والخطاب. وهذه هي وظيفة الأدب: التأثير في القارئ بخلق انطباع واحد أو متقارب لدى عموم القراء، وهذه هي قوته التي من دونها لن يبقى أدبا فينسحب فاسحا لعلوم إنسانية أخرى كالتاريخ والسوسيولوجيا وغيرها. وتأسيسا على ذلك، تبقى هذه السيرة الذاتية المصورة، "عندما تتحدث الصورة"، مساهمة في التأسيس لشكل جديد من أشكال السيرة الذاتية قوامه التعليق على الصورة المرتبة كرونولوجيا، والاحتماء بالكتابة الشذرية، والعودة لضمير المتكلم، وأخيرا تسمية الأمور بمسمياتها.



■ صورة من مدونة Writer gril